فلسفة حوار الهويات: بين خصوصية الأنا وكونية الآخر "من سنة الاختلاف إلى ضرورة الائتلاف"

The Philosophy of Identity Dialogue: Between the Specificity of the Self and the Universality of the Other "From the fate of Difference to the Necessity of Coalition"

د. فتيحة جلاب [1*]

[1] جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة (الجزائر) .

تاريخ الاستلام : 20 مارس 2025 ؛ **تاريخ المراجعة :** 15 ماي 2025 ؛ **تاريخ القبول :** 04 جويلية 2025

ملخص:

نهدف من خلال معالجة موضوع فلسفة حوار الهويات: بين خصوصية الأنا وكونية الآخر "من سنة الاختلاف إلى ضرورة الائتلاف" إلى إرساء أخلاقيات النقاش والتواصل التي يجب أن يتحلى بها الأنا اتجاه الآخر، أين تحمل الضرورة اليوم أكثر من أي وقت مضى إقامة فلسفة لحوار الهويات، بعيدا عن الجدل الصاعد بين العالمين الشرقي والغربي بسب إقصاء الآخر لهوية الأنا في مقابل الخطاب النرجسي للأنا اتجاه هوية الآخر، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها هي أن ترسيخ فلسفة حوار الهويات يتطلب تجاوز كل الاختلافات والخلافات مهما كانت طبيعتها، من خلال وضع أسس متينة لحوار جاد، في ظل رؤية إيجابية مؤسسة على بوادر تغيير لهجة خطاب كل طرف اتجاه الآخر، بالتركيز أساسا على احترام الآخر لخصوصية هوية الأنا وعدم المساس بمكتسباتها الحضارية هذا من جهة، وأن يحاول الأنا الانفتاح على هوية الأخر التي تنادي بالأفكار الكونية من جهة أخرى، وذلك بغية تحقيق الائتلاف بين الشرق والغرب وتخطي في نفس الوقت مسألة اختلاف الهويات، ليتمكن حقيقة الأنا والآخر من العيش المشترك في ظل الهوية الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: فلسفة حوار الهويات؛ الأنا؛ الآخر؛ الاختلاف؛ الائتلاف.

Abstract:

This paper seeks to address the theme of The Philosophy of Identity Dialogue: Between the Specificity of the Self and the Universality of the other, "From the fate of Difference to the Necessity of Coalition", emphasizing the urgent need to establish ethics of discussion and communication that the Self must embody in relation to the Other. In today's world, more than ever, there is a pressing necessity to develop a philosophy of identity dialogue, far removed from the escalating dichotomy between the East and the West, which stems from the exclusion of the Self's identity by the Other and the narcissistic discourse of the Self toward the identity of the Other. One of the primary conclusions reached in this study is that fostering a philosophy of identity dialogue requires overcoming all differences and disputes, regardless of their nature. This can be achieved by laying down robust foundations for serious dialogue within a positive vision aimed at altering the tone of discourse each party adopts toward the other. This approach focuses on respecting the Other's particular identity and preserving its civilizational gains, while also encouraging the Self to open up to the universal ideas embodied in the identity of the other. The ultimate goal is to achieve coalition between the East and the West and to transcend the issue of identity differences. Only then can the Self and the other genuinely coexist within the framework of a shared human identity.

Keywords: Philosophy of Identity Dialogue, Self, Other, Difference, Coalition.

*Corresponding author: e-mail: fatiha.djellab@univ-dbkm.dz .

1- مقدمة

تُعد فلسفة حوار الهويات من قضايا العصر التي نالت قسطا كبيرا من الاهتمام خاصة بعدما دق العالم ناقوس الخطر اتجاه الإفرازات السلبية للتطور التكنولوجي الهائل، الذي مس بطريقة غير مباشرة عالم القيم والثقافة والسلوكيات الموحدة، فاتحا المجال أمام الاختراق والتغلغل الصهيوني الامبريالي في البنية الثقافية والاجتماعية لخصوصية الأنا العربية ومرجعياتها، بغية عزلها وتفكيكها وتهميشها وسلخها عن هويتها وإبعادها عن تحمل مسؤولياتها التاريخية اتجاه الوطن والدين، تحت شعار ضرورة الاندماج في الهوية العالمية للآخر الغربي، تلك الهوية المادية التي جاءت بها العولمة ضد كل ما هو روحي وقيمي للأنا، مما أنتج نوعا من الخوف مصحوبا بخطاب نرجسي يصدر عن الأنا اتجاه هوية الآخر لدى بعض الأفراد، في حين بدأ آخرون ينظرون بعين الإعجاب والانبهار لهوية الغرب.

ومن هذا المنطلق وبسبب العولمة وما صاحبها من مشاعر الخوف والاعجاب في آن واحد بمكتسبات الحضارة الغربية، أصبح العالم العربي اليوم منشطرا فكريا بين من يدعو إلى ضرورة المحافظة على الهوية والتراث ومن يسعى إلى مواكبة التطور والحداثة بتجديد الهوية مع متغيرات العالم المعاصر، والأصح في ظل هذا الوضع هو تجاوز هذه الثنائيات الخانقة المرتبطة بمسألة فلسفة الهوية، كثنائية التراث والحداثة، أو الخصوصية والعالمية، وحقيقة ظهر فريق ثالث يدعم هذا التجاوز من جهة أولى، ويريد الجمع بين الحفاظ على الثقافة المحلية وفي الوقت ذاته الانفتاح على هوية الآخر من جهة ثانية، ويؤكد هذا الفريق أن الخروج من أزمة جدل الهويات الداخلي بين الأنا والأنا والصراع الخارجي بين الأنا والآخر لن يحدث إلا في إطار حوار عالمي يجمع الطرفين ضمن مبادرات استثنائية للأنا والآخر، حتى يستطيع كل منهما على إثره إعادة ترتيب الأولويات التي تهم الإنسانية ككل بعيدا عن لغة الهيمنة والسيطرة للآخر وبمنأى عن التجاذب الداخلي للأنا في مسألة الهوية بين الأصوليين ودعاة الحداثة.

وعلى ضوء ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

- هل حقا يستطيع الأنا الشرقي تجاوز تلك الثنائيات الداخلية التي تعاني منها هويته ويواجه في نفس الوقت إعصار العولمة من أجل إقامة حوار خلاّق مع الآخر الغربي؟ وهل تستطيع الأنا بهويتها الروحية أن تتجاوز الاختلاف وتحقق الائتلاف مع آخر مادي الهوية؟

2- فلسفة هوية الأنا بين الخصوصية والتعدد

تتميز الأنا عموما مهما كانت فلسفة هويتها بحبها المفرط لذاتها، وتقديمها لمصلحتها الخاصة عن مصلحة الآخر، أي أنها مركز كل شيء والآخر هو الهامش، وفلسفة هوية الأنا العربية لا تخرج عن هذا المنطق، فهي أيضا يحكمها التعالي والتفوق وفقا لاعتباراتها الخاصة، بنفس الطريقة التي يرى الآخر الغربي فلسفة هويته منبعا للحضارة والعقلانية والعلم، وفلسفة هوية الأنا العربية تزيد عن ذلك طابع الحفاظ على خصوصيتها التي

تفرضها قيمها العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهي تتبنى فلسفة هوية ثقافية نشأت تاريخيا في بيئة مناخية قاسية، جعلت الأنا العربية في الحاضر مستعدة لمواجهة قساوة الآخر من جهة أولى، كما أنها تتميز بالليونة انطلاقا من تركيزها على فكرة الدين الذي يرمز للسماحة والحرية...الخ من جهة ثانية، وتستند أيضا فلسفة الهوية العربية على العرف كركن راسخ وإطار مرجعي يميز مجتمعها عن غيره من جهة ثالثة، إضافة إلى أنها تعتمد من جهة رابعة على اللغة العربية كأحد ثوابت هويتها، كون أن وحدة اللسان يعد عاملا لتوحيد ما ينم من اختلافات ناتجة عن الحواجز الجغرافية، وحقيقة أسست اللغة العربية منطقة كاملة اسمها الوطن العربي، وتَرْجَمَت أفكار هذا الوطن ومشاعره ونَقَلَت خبراته للثقافات والحضارات الأخرى، ورَسَمَت حدوده وفقا لرقعة جغرافية أصبحت ركنا خامسا لفلسفة هوية الأنا العربية، هذه الرقعة التي تتمازج فيها العرقيات والقوميات من أجل أهداف مشتركة.

وعلى هذا الأساس تبدو هوية الأنا العربية من خلال هذه الخصائص واضحة المعالم كونها تدين أغلبها بالدين الإسلامي ويجمعها اللسان العربي كلغة رغم اختلاف اللهجات من منطقة إلى أخرى، والعرف الذي يشكل تلك الخصوصية المجتمعية للأنا بالإضافة إلى عاداته وتقاليده والمكان الجغرافي الذي يجمع الأنا والنحن في إطار قومي يتماهى فيه العرق لصالح الهوية العربية الإسلامية. ولكن إذا تمعنا لوهلة في هذه الخصوصية نجد أنه قد لحقتها اختراقات نظرا لتعدد مرجعيات فلسفة هوية الأنا في ثقافتها المعاصرة، فأصبح الفرد العربي اليوم يعيش أزمة هوية داخلية، أين ظهرت إلى الواجهة مرجعية تراثية عربية إسلامية ومرجعية عصرية أوروبية الأصل، وكلتا هذين المرجعيتين يقومان على التعدد، وهناك مرجعية ثالثة هي مزيج بين المرجعيتين التراثية والأوروبية وهي المرجعية التي أصبح يشكلها فكر ما نسميه اليوم بعصر النهضة العربية الحديثة (الجابري، 1995، الصفحات 36-37) وخلاصة هذه المرجعيات ظهور فلسفة لهوية الأنا العربية تقف بين ثلاث تيارات، يتميز الأول بالتعصب لما هو تراثي إسلامي، والثاني يبالغ في تمجيد كل ما هو غربي، أما الثالث فيتبنى هوية ثقافية تتميز بالمرونة والتشكل المتجدد المستمر، وأخطر هذه التيارات هو ذلك الذي يرمي إلى الانسلاخ كلية عن خصوصية فلسفة الهوية العربية بعدما اجتاحت العولمة "الأنا" وتنكرت ل "النحن" وتراثه الجمعي لصالح ما يسمى الهوية العالمية.

ومن هذا المنطلق، أثارت مخرجات تلك التيارات مؤخرا قضية أخرى مهمة حول فلسفة هوية الأنا العربية وهي قضية: إن كانت هويتنا عربية إسلامية أم إسلامية عربية؟ وظهر على إثر هذا الجدل أيضا مواقف متعددة فمعظم المفكرين يرون أنه لا مجال للتناقض بين العروبة والإسلام ويحاولون إيجاد صيغ تعبيرية تبرز التكامل بينها، وهناك من يرى أن الإسلام يسبق العروبة، وكثرت التيارات في هذه المسألة وكانت مهتمة بتجريد صيغ تعبيرية لا تنفذ إلى عمق المسألة المطروحة حسب تعبير محمد عابد الجابري وفيها تغييب الوجه الحاد من المشكل (الجابري، 1995، الصفحات 22-23)، فهوية "الأنا" العربية وفق هذا التصور تعيش تصادم لفظي

يلخص الأزمة على أنها ارتبطت بإغفال التوترات الحقيقية للمسألة والاكتفاء بالصورة العامة للهوية دون البحث في الخلل الجوهري الذي تعاني منه فلسفة هوية الأنا العربية: فالتحدي هنا يكمن في كيفية التوفيق بين هذين الركنين ونقصد العروبة والاسلام دون التقليل من أهمية أي منهما، فالتأثيرات المتبادلة بينهما ضرورية لصياغة فلسفة هوية الأنا العربية المتكاملة، التي تستطيع أن تتماشى مع فلسفة هوية الآخر، ويتحقق ذلك عندما تقبل الأنا العربية تجديد تراثها حسب متطلبات العصر دون الانغلاق على الذات، وفي نفس الوقت عدم الانسلاخ من مكتسباتها، بذلك يمكن تأسيس قاعدة للحوار مع الآخر الذي تساير هويته التاريخ، وتبقى أيضا فلسفة هوية الأنا العربية محافظة على أيديولوجياتها الأصولية.

3- فلسفة هوية الآخر: الكونية والعالمية

تنادي فلسفة هوية "الآخر"، ذلك الغير المختلف عن "الأنا" إلى ضرورة التحرر الثقافي من الانغلاق والانخراط في الهوية العالمية تحت شعار قيم التسامح والتعاون والتكامل الإنساني بين الأنا والآخر بعيدا عن المرجعيات الدينية والثقافية، وهذا الشعار الذي يحمله الآخر الغربي ليس بالجديد، أين يغلب فيه المصلحة العامة على الخاصة على حد قوله، نظرا لمرجعيته المادية الخالصة، التي تتجلى أساسا عندما نُمْعن النظر في أنظمته الحياتية العلمانية القائمة على قوانين وضعية متحررة من المفاهيم الدينية أو الروحية، وهذا هو الغالب على فلسفة هوية الآخر برمتها، لأن "النظم السياسية والاجتماعية الغربية، سواء الليبرالية أو الاشتراكية أو غيرها، هي تصورات مختلفة لنظم اجتماعية يضمها معا أصل عقدي واحد وموقف نظري واحد، هو النظر العلماني للحياة الذي يفصل هذه النظم عن أصل العقيدة الدينية" (البشرى، 1996، صفحة 33).

وعليه فهذا الفصل الذي تبناه الآخر الغربي في فلسفة هويته، سيجعل كل مختلف عنه مستعدا للحوار معه، عندما يضع الدين جانبا وينظر إلى الجانب النفعي من المسألة، وهو ضرورة الحوار لتحقيق العيش المشترك في ضوء تعاون داخلي بين الأنا والأنا الغربية وتلاحم خارجي بين هذه الأخيرة و الأنا العربية، لذا نجد أوروبا تدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى دعوة صريحة للحفاظ على الخصوصية والرجوع للأصالة، وتتحدث عن "الهوية الأوربية" وتعمل اليوم على توحيد شعوبها وأقطارِها، بخطوات عقلانية محسوبة في إطار من الممارسة الديمقراطية الحقيقية، وبهذا يقدم الآخر الغربي لمستعمراتِه القديمة (أقطار العالم الثالث كلِّه) نموذجا صالحا للاقتداء به، بعد أن استطاع أن يتلاءم مع الخصوصيات المحلية هذا من جهة، كما تجعله هذه الهوية بشعاراتها دائم القبول للحوار مع الأنا العربية إذا كانت المصلحة تشمل ما هو عالمي وكوني من جهة أخرى.

إذن تنادي فلسفة هوية الآخر الغربي إلى الكونية، وذلك يكون بانفتاح مختلف الثقافات على العالم بغية إثرائها وتلاقحها حضاريا وعلميا وتقنيا، حتى تتحقق المنفعة العامة، كضد للعولمة، وتجسيدا لمفهوم الأخلاق

العالمية، التي تصبوا في إطار الاحترام والتعاون والتسامح والعدالة...الخ، أين سعى الآخر الغربي في شعاراته السياسية دائما للترويج إلى قيمه الكونية التي تستطيع تأطير الإنسانية في كليتها وشموليتها. وساعدها في هذا الترويج شبكة متطورة من وسائل الاعلام والاتصالات الفضائية والانترنت ومؤسسات المجتمع المدني التي لعبت دورا مهما في التعريف بهذه القيم بين أفراد الشعوب الأخرى من خلال الادعاء بمساعدة هؤلاء الأفراد على حل مشاكلهم والتكيف مع مقتضيات الحداثة والتطور (بن أبو بكر أحمد باخشب، دس، صفحة 339). فهل حقا يستطيع الآخر الغربي من خلال فلسفة هويته تحقيق تلك القيم أو الأخلاق العالمية؟

4- جدل فلسفة الهويات: سنة الاختلاف بين الأنا والآخر

الاختلاف سنة طبيعية سنها الله تعالى بين البشر، ولولا وجود هذا الاختلاف لأصبح البشر نسخة واحدة على منهج واحد وملة واحدة، وهذا خلاف مقتضى الحكمة الإلهية في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} (سورة المائدة، الآية: 48)، ويُسفر هذا الاختلاف بين البشر إلى التدافع في الهويات لقوله سبحانه: {ولَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ} (سورة البقرة، الآية: 251).

لكن يجب أن ننوه بأن هذا التدافع أصبح في عالمنا المعاصر يشكل جدالا يجري بين الأنا والآخر في شكل حرب فكرية بسبب اختلاف الهويات والمرجعيات الثقافية والدينية، حيث انصرف جهد الأنا والآخر إلى التفتيش عن وجوه الاختلاف والخلاف والتنقيب عن نقاط الضعف والعمل على توسيعها بين العالمين، ولا نستطيع بهذا الأسلوب أن نُقِيم علاقة التحاور، ما دام الآخر يهدف إلى إقصاء هوية الأنا، ويتصاعد في مقابل ذلك الخطاب النرجسي للأنا اتجاه هوية الآخر، ويمكن التفصيل أكثر في مكامن هذا الاقصاء والخطاب النرجسي بين مختلف الهويات في التالي:

1.4- إقصاء الآخر لفلسفة هوية الأنا:

كانت ومازالت فلسفة هوية الأنا تثير حفيظة الآخر، فالتزم بإطلاق الأحكام والتي قد تصل إلى درجة إلغاء هذه الأنا ومحاول استبعادها تماما من الساحة العالمية، حيث يلاحظ أن الخطابات الغربية اتخذت منحى إقصائي للأنا الشرقية، فقد بدأت ملامح هذه المسألة الخطيرة تتشكل في ضمير قوى مؤسسات المجتمع المدني وخصوصا في فلسفة هوية الآخر بعد المقال الذي كتبه المفكر الأمريكي صموئيل هنتنجتون في المرحلة التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي والذي نُشر في المجلة الأمريكية Foreign Affairs ثم اتبعها بكتاب منفصل شرح فيه نظريته عن صراع الحضارات، وفيه أنذر الغرب من حدوث صدام محتمل بين حضارة الغرب التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وحضارات الشرق التي يمثلها العالم الإسلامي والكونفوشيوسي

والبوذي...الخ، واعتبر أن الغرب يجب أن يكون مستعدا لمواجهة هذا الصراع المتوقع، في سبيل الحفاظ على هيمنته السياسية والعسكرية والاقتصادية وضمان استمراريتها في عالم يتزايد فيه التنوع الثقافي والسياسي (أرحيل الكفارنة، 2015، صفحة 296). فالرؤية التي قدمها صامويل هنتنجتون في تسعينات القرن العشرين تشير إلى مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات بين فلسفة هوية الآخر والآخر على المستوى المحلي وبين فلسفة هوية الأنا والآخر على المستوى العالمي، أين سيشهد المستقبل صراعات ثقافية تتعلق بالهوية والانتماء الثقافي على كلا المستويين.

فمثل هذه المقالات والكتب التي أطلقها مختلف فلاسفة الغرب ليست بريئة، إذ زادت من احتقان الجدل والاقصاء بين الهويات المختلفة، كونها تحمل في طياتها خلفية الاستعلاء على الأنا واعتبارها المهدد الدائم لمكانة فلسفة هوية الآخر، واللازم حسب تلك المقالات والكتب هو دحض فرص فلسفة هوية الأنا في أن تكون مركز قوة في يوم ما وجعلها دائما في الهامش، حتى تبقى فلسفة هوية الآخر تتزعم العالم ومثالا للتفوق الثقافي والحضاري، وهذه النظرة الدونية إلى فلسفة هوية الأنا ليست وليدة القرن الواحد والعشرين، فهي تعود إلى عصور ماضية خصوصا الفترة الاستعمارية التي صور من خلالها الأوروبيون الأنا العربية على أنها همجية ومتخلفة وتحتاج إلى التوجيه والتحضر، فتكونت لديهم صورة نمطية بدأت تتعمق أكثر فأكثر خصوصا بعد النزاعات السياسية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط في القرن العشرين، مثل الحروب العربية الإسرائيلية والحروب في العراق وحتى في سوريا، ومختلف التوترات المستمرة في الدول الأخرى، ما أسفر عن نظرة دونية إلى فلسفة هوية الأنا العربية وأنها مصدر للفوضى.

إضافة إلى ذلك عمدت فلسفة هوية الآخر على إقصاء فلسفة هوية الأنا بحجة أنها تعاني من قلة الاستقرار الاقتصادي باستثناء بعض دول الخليج، ف "الأنا" العربية وفق هذا المنظور لا تمتلك قدرات اقتصادية أو تكنولوجية مساوية لما لدى الغرب، مما ساهم في استمرار الصورة النمطية السلبية والروح المتعالية المدفوعة بالتفوق الكبير لفلسفة هوية الآخر في مجالات العلوم الحديثة، معتبرا نفسه المؤسس الوحيد لهذه العلوم، ويرى أن أي تقدم علمي حققته فلسفة هوية الأنا يعود في الأصل إلى منظومة الآخر العلمية باعتبارها أصل كل تقدم وما الأنا سوى مقلد ومستهلك.

واحتقن الجدل أيضا بين فلسفة هوية الأنا والآخر أكثر من ذي قبل خصوصا من الناحية الدينية بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصبح الإسلام يوصف بالإرهاب والتطرف والهمجية والمسلم هو العدو الأول الذي يجب مهاجمته في كل موقف اعلامي، وظهر على إثر ذلك مصطلح فوبيا الإسلام أو الاسلام فوبيا، وأُستهدف الإسلام والمسلمين كأعداء جدد لفلسفة هوية الآخر عن طريق التشكيك في الدين وتشويه رموزه وتنميط صورة المسلم الإرهابي. (وحياني، 2018، صفحة 600) خاصة مع زيادة صعود

اليمين المتطرف في الغرب المعادي لفلسفة هوية الأنا الشرقية والدين الإسلامي، لأن الآخر مازال ينظر إلى ذاته على أنه مركز العالم وأعلى حضارة وإنسانية، ومن ثم ينظر نظرة كلها استصغار إلى ما سواه من الأمم والشعوب والحضارات، فهو لا يدرك أن حضارته الغربية ما هي إلا مشترك تراكمي بنائي ساهمت فيه كل الحضارات وبالذات حضارة الشرق.

2.4- الخطاب النرجسي ل "الأنا" اتجاه فلسفة هوية "الآخر":

لم يخلو خطاب فلسفة هوية الأنا من تيار التطرف والغلو والتشدد الذي أخذ ينتشر في العديد من دول الشرق اتجاه هوية الآخر ومرجعياته، حيث لازال الخطاب الإسلامي يعيش أزمة من النرجسية لدى بعض الأطراف التي تصور الغرب كنظام مهتز سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وتعتبره مهددا بالزوال معتمدة على شعارات فضفاضة مثل "الإسلام هو الحل" دون التطرق إلى معاني هذه الشعارات أو تطبيقاتها العملية، ومن خلال التأمل في بعض الحركات الإسلامية مثل القاعدة والجهاد وحزب الله وحماس وطالبان وعصبة الأنصار السلفية وغيرها من الحركات المتشددة، يتضح أنها لا تزال تكفّر الحضارة الغربية وتحمّلها مسؤولية التناقضات والأزمات التي تعاني منها، بما في ذلك انتشار المخدرات والجريمة. هذا الأمر يعزز القناعة بأن حوار الحضارات لا يزال يفتقر إلى الثقة المتبادلة بين الطرفين، ويظهر أن المنهج المتشدد لهذه الحركات يوحي أن الخطاب الإسلامي الأصولي لا يزال غامضا إذا استمر في هذا الشكل الأيديولوجي الحاد (أرحيل الكفارنة، 2015، صفحة 299). وسينتج أدوات متجددة للعنف، وسينتقل بحوار الحضارات والديانات من ممكن التحقق إلى الاستحالة.

ومنه تبقى الصورة التي تحملها فلسفة هوية الأنا ملازمة لفكرة الآخر العدو، وتعتبره تلويثا لنقاء الهوية المزعوم وتفكيكا لعناصر وحدتها المتحققة هناك، ويرد هذا التصور على المشاركة بالعزلة وعلى الليونة بالجمود وعلى الانتشار بالتقوقع، فتتولد لدى الأنا نظرة مدججة بأفكار التعصب والإقصاء والتطهير واستئصال كل مختلف عنها (سليطين، 2018، صفحة 4)' ففلسفة هوية الأنا تعتبر نفسها كيانا نقيا ومتماسكا، وأن أي تدخل أو تأثير من فلسفة هوية الآخر يمثل تهديدا لهذا النقاء وهذه الوحدة، والنتيجة المترتبة عن هذا المنظور أن الأنا سيصل إلى مرحلة يصبح فيها محاصرا لوحده في دائرة ضيقة ومعزولة عن فلسفة هوية الآخر.

وعليه الشيء الذي يلخص دواعي هذا الخطاب النرجسي لفلسفة هوية الأنا اتجاه فلسفة هوية الآخر هي أن الأنا لازالت محتفظة بذكريات التاريخ الاستعماري الأوروبي الذي عاشت في ظله الدول العربية لفترات طويلة، وهذا الذي كوّن لدى الأنا رغبة في التفوق على الغرب أو الرفض التام له، إضافة إلى الاختلافات الثقافية في فلسفة هويتها بينها وبين الآخر، والتي يُنظر إليها على أنها غريبة أو مهددة للهوية الثقافية والدينية العربية، هذه الرؤية تؤدي إلى تطوير نظرة الأنا النرجسية اتجاه الآخر من جهة أولى، وتكون دافعا للحفاظ على التاريخ العربي

والتفرد الثقافي والتأكيد على قيمتهما من جهة ثانية، كما أن دور فلسفة هوية الآخر في الساسة العالمية زاد من تعميق الفجوة النرجسية لفلسفة هوية الأنا، خاصة مع تصاعد الصراع والتنافس في الساحة الدولية، مما أثار شعورا لدى الأنا بالفخر والتمسك بالقيم الذاتية في مقابل الهيمنة الغربية.

5- فلسفة حوار الهويات: ضرورة الائتلاف بين الأنا والآخر

يؤكد الإسلام باعتباره الهوية الأساسية للأنا على ضرورة التواصل والحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى، وذلك من أجل تعميق الجوامع المشتركة وتفعيلها وصيانة المنجزات الإنسانية والحضارية، وبلورة دعائم نظام عالمي يكون أقرب إلى الحرية والعدل والتسامح، لأن الإسلام ليس في صراع إلا مع العناصر العدوانية الشريرة التي تهدد وجوده ومعتنقيه، تاركا للجميع حرية اختيار العقيدة والفكر والمذهب وطريقة الحياة (الريامي، 2016، صفحة 311) وقد أكد ذلك الخالق تبارك وتعالى في الآية الكريمة {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ 21 لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ 22} (سورة الغاشية، الآية: 21-22).

وما دام الإسلام قد أعطى الأنا كل الحرية في الحوار مع الآخر، فإن ذلك يعني أنه لن يحدث تعارض بين الهويات إذا احترم كل طرف أسس الحوار البناء، فالتزام هذه الأسس يعد من العوامل الضرورية لضمان عدم ذوبان فلسفة هوية الأنا في الآخر، كما يحول دون أن يتمكن الآخر من طمس فلسفة هوية الأنا أو السيطرة عليها، ويمكن رصد هذه الأسس كضرورة تؤلف بين الأنا والآخر من أجل فلسفة هوية إنسانية مشتركة على النحو التالي:

أ. ضرورة أن يسبق الحوار بين فلسفة الهويات، إقامة على الأقل حوار داخلي ضمن نفس الحضارة، مثل الحوار الإسلامي-إسلامي، وكذلك الحوارات الوطنية بين التيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وأن يكون هناك وعي كاف أيضا بالدفاع عن الخصوصيات الحضارية أمام فلسفة هوية الآخر، مع مراعاة ضرورة مواكبة التجديدات التي تطرأ على الخطاب الديني والثقافي العالمي، ومن هنا تنبع الحاجة إلى تحفيز الهمم من أجل إعادة بناء فلسفة هوية الأنا، وهو ما يتطلب القدرة على نقد أنفسنا في سياق فلسفة الحوار، إذ لابد من الاعتراف بأن لدينا الكثير من السلبيات، وللمضي قدما في حوار حقيقي مع فلسفة هوية الآخر، يجب أن نكون منفتحين على النقد الذاتي ومستعدين له، وفي النهاية يلزم أن نفهم أن فلسفة حوار الهويات هي ثقافة تبدأ من داخل الأنا والآخر.

ب. يجب أن يحترم الأنا المرجعيات والخصوصيات الثقافية ويبتعد عن التسلط وإلغاء فلسفة هوية الآخر من أجل إقامة حوار جاد، فأبناء الحضارة الإسلامية والداعون إلى مشروعها الاجتماعي في عصرنا يسلمون بمقتضى

هذه القاعدة وكونها من شروط نجاح فلسفة حوار الهويات، ولا يطلبون من أبناء الحضارات الأخرى إلا أن يكون لهم الموقف نفسه، وإلا فإن الحوار سيصبح حديثا من طرف واحد، أو محاولة كل طرف غزو الطرف الآخر ودحضه، وهكذا يعيش العالم صراعا وصداما، ولا يعيش حوارا وتعارفا (الريامي، 2016، صفحة 315).

ت. كما يستلزم الحوار على المستوى العالمي اعتمادا متبادلا بين فلسفة هوية الأنا والآخر، وهو ما يستدعي التصرف بروح من التضامن الإنساني وتفعيل فلسفة هوية تنشد العالمية. وهذه الأنا أيضا هي جزء من جماعات ثقافية وسياسية متنوعة ومختلفة عنها، وهذه الجماعات تشكل مصدرا هاما للقوة الأخلاقية ولها أهمية كبيرة بالنسبة لفلسفة هوية الأنا، فبدلا من أن تراها متناقضة، يجب أن تعيد تعريف هذه الجماعات وتبنيها بما يتماشى مع الهوية الإنسانية العالمية بحيث تتناغم وتتكامل بدلا من أن تكون في صراع.

ث. لابد أيضا أن تتبنى فلسفة هوية الأنا الشرقية التيار العقلاني، الذي يؤكد أنه يجب أن تكون الهوية مرنة ومتجددة، تتجدد عناصرها حسب التطور ومستجدات العصر، مع احتفاظها بخصوصيتها في كونها هوية عربية تستوعب ثقافة الآخر وتوظفها في بناء ثقافة منفتحة وتطرح الدين الإسلامي بصورة تتميز بالتسامح يقبل فلسفة هوية الآخر ويتعامل معه، من أجل الحفاظ على مكتسباتها وثقافتها أمام إعصار العولمة والتصدي لأي تهديد يؤدي إلى إقصاء فلسفة هوية الأنا، والعمل على الاستفادة من الثقافات الأخرى من خلال الحوار البناء، وهذا يستلزم منا أن نحيي إنسانيتنا أو ما نطلق عليه هويتنا الإنسانية، ونشترك في ما أطلقت عليه "سياسة جديدة للهوية" (باريك، 2013، صفحة 20).

ج. وعلى هذا الأساس يجب أن تتحول العلاقة بين فلسفة هوية الأنا والآخر من النبذ إلى المشاركة ومن الإفراد إلى التعدد، يجافي بذلك الأنا التصورات الأحادية المغلقة ويحتفظ بفسحة للممكن، وينقل المجال التصوري والحركي من تصادم الهويات وتواجهها الحدي إلى تشابكها وتفاعلها وانفتاح بعضها على بعض، في مجرى البناء والتعديل والصياغة المتجددة التي تمكّن الهوية من إسهامها الخلاق وحضورها المتميز في منحى من التجاوز يعيد تعريفها بغيرها، دون أن يعني ذلك بالضرورة افتقاد بعض المحددات الذاتية الخاصة، أو انحلال فلسفة هوية الأنا في الآخر (سليطين، 2018، صفحة 4).

ح. من هذا المنطلق، إذا كان الأنا والآخر يرغبان في تحقيق حوار حقيقي للهوية يساهم في تعزيز التعاون وتقليل الصراع، فإنهما يجب أن يخلقا بيئة ملائمة للحوار المبني على التعاطف والصبر، لا يعتمد هذا الحوار على الكلام والاقتناع فقط، بل يتطلب التفاوض والتوصل إلى نقاط تلاق وحلول وسط، ويجب أن يركز الحوار على تعزيز الفهم المتبادل، من خلال مساعدة كل طرف على رؤية العالم من منظور الآخر في ظل تاريخ مشترك. لذلك كانت الهوية هي التاريخ، فلا تعيش مرحلة مضت ولا تعيش مرحلة قادمة، ولا تتوقف عن السير في

المرحلة الراهنة انتظارا لمسار الأقدار، ليست الهوية حقيقة مجردة ثابتة دائمة صورية كما يظن الفلاسفة المثاليون، بل هي من صنع الأفراد والشعوب، هوية تاريخية (حنفي ، 2012، صفحة 5) لذا فإن للحوار بعدا تاريخيا يتضمن تبادل الأفكار وتحقيق فهم أعمق للماضي وتخطيطا حضاريا للمستقبل، ويشجع على تلاقي القيم العالمية.

خ. وعليه فإرساء فلسفة لحوار الهويات ينطلق من الإيمان بمسلمة أن العولمة حقيقة قائمة وأن هذا الواقع يفرض التعايش وليس الصراع، وأن على الجميع أن يتقبلوا هذا الوضع، وعليهم أن يبحثوا عن أرضية مشتركة تغذي الحوار وتساعد على ازدهاره ونجاحه، وحتى يتحقق ذلك هناك مسؤولية تقع على عاتق طرفي الحوار المأمول، أهمها احترام خصوصية الحضارات الأخرى وهويتها الثقافية وأن لا يسعى الآخر للتحكم في فلسفة هوية الأنا وإبقائها في حالة تبعية، وعدم النظر إلى الدول الساعية لامتلاك القوة بأنها متمردة، وأن يعي كلا الطرفين أن الحوار أقل كلفة من الصدام أو القوة أو التطرف (أرحيل الكفارنة، 2015، صفحة 305). أما فلسفة هوية الأنا فعليها أن تتخطى دور المتلقي السلبي والمستهلك، وأن يكون لها دور إيجابي في التفاعل مع المنجزات العالمية بمختلف أشكالها، والانتقال إلى تكوين الذات بشكل مستقل وواع، كونه عنصر أساسي في فلسفة هوية الأنا، بدلا من الخضوع التام للظروف الخارجية.

6- خاتمة

من خلال ما سبق يمكننا القول أن فلسفة حوار الهويات لا تدخل مجال الفعل إلا من خلال تخلص فلسفة هوية الأنا من الخطاب الأيديولوجي المتشدد اتجاه الآخر، في مقابل ضرورة ابتعاد فلسفة هوية الآخر عن مفهوم المركزية والكونية، مع ترك الاختلافات ووضعها جانبا من أجل العيش الإنساني المشترك والدخول في دائرة التكامل والائتلاف بين الهويتين من أجل الصالح العام.

كما يمكن لفلسفة هوية الأنا الحفاظ على هويتها وخصوصيتها ومواجهة تحديات العولمة حتى وإن دخلت في حوار مع فلسفة هوية الآخر إذا اعتمدت على الرؤية الكلية للإسلام، باعتبار أن هذا الدين يتميز بقدرته على استيعاب الثقافات الأخرى وهضمها، وهذا ما أكده المفكر الأمريكي شارلس قيدر (Charles L. Gedder) في قوله: "إن الإسلام يملك جميع الخصائص التي يستطيع أن تنشر السلام والانسجام في العالم، إن الغرب يؤمل من المسلمين الذين يحملون الدين الذي أنزله الله، وكان لهم ماضٍ مجيد مشرق، أن يُقدموا مبادئ الحياة وفلسفتها إلى الغرب وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التي عُنيت لهم في عالم الغد" (الحسني، 1996، صفحة 47).

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الهوية العربية الإسلامية تنطوي على تنوع كبير في التصورات لأن فلسفة هوية الأنا اطلعت على العالم الغربي وحاولت دمجه مع تراثها، وهنا بالتحديد ظهرت إشكالية مستعصية: كيف نحافظ على خصوصية الهوية الثقافية العربية ونميزها عن باقي الثقافات؟ فأصبحت الثقافة العربية من هذا المنطلق تعاني من الانشطار بين قطبي الأصالة والمعاصرة، خاصة بعد الاختراق الثقافي وأيديولوجية العولمة، ولهذا يرى البعض من المفكرين أن الثقافة العربية تحتاج إلى دراسة عميقة وغربلة واسعة لتنجح في التحاور مع الثقافة الغربية.

فالحوار إذن يجب أن يكون مستندا على تفهم الأنا لهوية الآخر والعكس صحيح، مع رفض التفكير الأعمى والمتعصب وتنمية روح التسامح والعمل على نشر فكرة الحوار على أوسع نطاق، باعتبارها الطريق الوحيد للتقريب بين وجهات النظر، وهذا ما أكده المفكر "روجيه غارودي" في كتابه حوار الحضارات قائلا: "يمكن أن يجري إخصاب متبادل بحوار يعرف فيه كل طرف كيف ينفتح على حقيقة الآخر دون أن ينحل إليها" (غارودي، 1999، صفحة 228).

يمكن في الأخير اقتراح أهم التوصيات التي تساهم بشكل ما في تكريس فلسفة حوار هويات فعالة ومجدية بين الأنا والآخر في التالي:

- ضرورة الفهم العميق المبني على الوعي بفلسفة حياة الأنا والآخر، بكل أبعادها الاجتماعية والثقافية: (بما فيها من عادات وتقاليد وقيم...الخ) والتاريخية والسياسية والاقتصادية...الخ، بغية الالمام الكامل بفلسفة هوية الاتجاهين، حتى ندحض بعض الأفكار السلبية المتوارثة عن كلا الطرفين، والتي ساهمت في وقت سابق في تعميق هوة الخلاف والاختلاف بين الأنا والآخر، لذا الواجب على الأنا أن يفهم ويدرس هوية الآخر بنفس الطريقة التي يتوقع من الآخر أن يفهم فلسفة هويته وخصوصيتها.

- السعي إلى تعزيز القيم الانسانية المشتركة بين فلسفة هوية الأنا والآخر وإعطائها الأولوية على المنجزات المادية، وتحقيقها واقعيا بعيدا عن الشعارات التي تعتمدها المنظمات العالمية في الأزمات فقط، لأن فلسفة الهوية المشتركة على نقيض ذلك، فمبدأها الدعم المستدام، وفقا لقيم التسامح وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية...الخ.

- استحضار العقلانية التي تنشد تفاعل الخصوصية مع الكونية والفردية مع الحرية، والتركيز على ما يجمع فلسفة هوية الأنا والآخر ويعزز نجاح حوارهما بدلا مما يفرقهما.

- يجب أن يمنح كل طرف الآخر الحق في التعبير عن آرائه ومشاعره بصدق ودون خوف من التهديد، وفقا لقيم العدالة في الحوار التي تضمن التفاعل بشكل نزيه ومساو.

- ضرورة أن تكون فلسفة هوية الأنا على استعداد دائم للتعلم من فلسفة هوية الآخر والعكس صحيح، وتطوير أفكارهما بناء على ما يتعلمه كلاهما من خلال فلسفة حوار الهويات، كون أن الحوار ليس مجرد تبادل آراء بل عملية تعلم مستمرة، وسيجد كلاهما مساحات رحبة لهذا التعلم المتبادل من خلال ما أصبحت المنصات الرقمية توفره، أين تعزز التواصل والتحاور والتبادل الثقافي والتعلم بين الأنا والآخر من أي مكان وفي أي زمان.

- المراجع:

1- أبو الحسن علي الحسني الندوي. (1996). نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية. بيروت: دار الإرشاد.

2- أحمد عارف أرحيل الكفارنة. (جوان, 2015). معوقات الحوار بين الشرق والغرب. مجلة دفاتر السياسة والقانون(13). (ص: 285 -310).

3- بيكو باريك. (2013). سياسة جديدة للهوية: المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل. (فتحي حسن محمد، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

4- حسن حنفي . (2012). الهوية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

5- روجيه غارودي. (1999). حوار الحضارات. (عادل العوا، المترجمون) بيروت: عويدات للنشر والطباعة.

6- طاهر أحمد محمد الريامي. (أكتوبر, 2016). حوار الحضارات. مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 15(13). (ص: 305-323).

7- عمر بن أبو بكر أحمد باخشب. (دس). سيادة الدولة في ظل التطورات الدولية "دراسة تحليلية". مجلة القانونية(03). (ص: 321-353).

8- محمد عابد الجابري. (1995). مسألة الهوية: العروبة والإسلام...والغرب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

9- المستشار طارق البشرى. (1996). الحوار الإسلامي العلماني. القاهرة: دار الشروق.

10- نزيهة وحياني. (2018). العولمة الدينية آليات صراع الأنا والآخر. (جامعة بشار، المحرر) مجلة البدر، 10(06). (ص: 593-605.

وفيق سليطين. (2018). سؤال الهوية ونقد منطق الخصوصية. ضمن أوراق مؤتمر الهوية الوطنية. دمشق: مداد مركز دمشق للأبحاث والدراسات.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

جلاب فتيحة، (2025)، **فلسفة حوار الهويات: بين خصوصية الأنا وكونية الآخر"من سنة الاختلاف إلى ضرورة الائتلاف"**، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 16 (العدد 1)، الجزائر : جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 155-166.